مصادر يونانية مفقودة حفظتها الترجمات العربية

د. مصطفى لبيب عبد الغني(•)

مقدمة :

يلزم قبل تناول دور الحضارة الإسلامية فى صيانة تراث العالم القديم أن نشير ابتداءً إلى بعض الحقائق الهامة منها :

أولاً : إن التأريخ الثقافى يعتمد في الأساس على وثائق المعرفة الموجودة بالفعل، والتى يمكن قراءتها وتفسيرها . وفى غيبة هذه الوثائق لا تكون هناك إمكانية لإصدار أحكام صحيحة عن منجزات فترة ما من فترات التاريخ.

وعلى الرغم من غياب أو فقدان الكثير من وثائق المنجزات الفكرية للحضارة الإسلامية التى ازدهرت وبلغت شأوًا رفيعًا بالقياس إلى ما سبقها وما عاصرها من الحضارات ، فى الفترة من القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) حتي القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) أو يزيد، فإن ما بقى من هذه الوثائق - على ندرته - يسمح لنا بأن نكوّن عن هذه المنجزات صورة تقريبية.

ثانيًا : إن ما يستلفت النظر حقًا فى حضارة الإسلام هذه، المؤسسة على عقيدة دينية، أنها احتفت بمطلق المعرفة الإنسانية على نحو غير مسبوق، فلأول مرة يسجل التاريخ بالفعل حركة نقل لعموم التراث المعرفى السابق أيًا كانت أزمنته وبيئاته ولغاته، فقد سعى المسلمون بفعل عوامل عديدة متآزرة إلى امتلاك ناصية المعرفة المتاحة فى زمانهم، وحققوا كل الشروط الضرورية والكافية لإنجاز هذا الهدف الصعب النبيل.

ولاعتبارات تاريخية كان من الطبيعى أن يتصدر التراث اليونانى كل مصادر المعرفة الموجودة آنذاك. وبذل النقلة ــ على امتداد قرنين دون انقطاع ــ غاية جهدهم لنقل

(•) أستاذ الفلسفة وتاريخ العلوم بكلية الآداب – جامعة القاهرة

الفلسفات والعلوم اليونانية الهيلينية الخالصة والهيللنستية المختلطة[١] عن اللغة السريانية وعن اللغة اليونانية ، كما اتسع هذا الجهد لنقل التراث اللاتينى، إلى جانب المحاولات المتصلة لنقل التراث الفارسى والهندي عن اللغتين الفارسية البهلوية والسنسكريتية.

ثالثًا : كانت ترجمة التراث العالمى السابق إلى اللغة العربية هى المقدمة الضرورية لتأسيس معرفة جديدة تجاوزت المعرفة القديمة فى موضوعاتها ومناهجها وغاياتها ، وكتبت الفلسفات والعلوم بلغة الثقافة العالمية فى العصور الوسطي، أي بالعربية ، وتضافر على صنع المعرفة الجديدة إنسان ذلك الزمان مسلمًا كان أو على غير ملة الإسلام، عربيًا كان أو غير عربى، فجاءت بحق تجسيدًا عمليًا لوحدة الجهد الإنساني التى زكاها الإسلام دونما تمييز.

وكان من الضرورى أن يصاحب هذه المعرفة الجديدة اهتمامٌ واجب بالتأريخ لها، وتسجيل لتطورها، وتقدير لماضيها المؤصَّل لها ؛ فقد استجاب المسلمون لتوجيهات عقيدتهم بأن العلم وراثة كريمة، واستُحدث على ذلك فرع هام من فروع الثقافة الإنسانية، هو "تاريخ العلم"، فعرفت الحضارة الإسلامية كتب العلم المؤسسة لنظرياته وقوانينه، كما عرفت كتب تاريخ العلم الراصدة لنشأته وتطوره، مثال ذلك ما نجده في العديد من قوائم الكتب والتراجم والطبقات. وهنا تبرز ـ من هذا الجانب ـ أهمية ذكر المصادر التى فقدت أصولها اليونانية، وبقيت محفوظة لنا في ترجمات عربية. وفى هذه الترجمات التى جاءت

---

(١) اقترنت جهود النقلة والقائمين علي أمر الترجمة بشدة الطلب علي المخطوطات، مهما كانت الصعوبات التي تواجههم في ذلك - وشارك النقلة أنفسهم أحيانا في رحلات علمية لطلب كتب العلم وجمع متفرقاتها المظنونة - من ذلك ما يقوله حنين بن إسحق عن كتاب "البرهان"لجالينوس ـ وهو في خمس عشرة مقالة ـ : "لم يقع إلى هذه الغاية إلي أحد من أهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية، علي أن جبريل قد عُنى بطلبه عناية شديدة وطلبته أنا غاية الطلب وجُلت في طلبه بلاد الجزيرة والشام كلها وفلسطين ومصر، إلي أن بلغت الإسكندرية فلم أجد منه شيئًا إلا بدمشق نحوا من نصفه إلا أنها مقالات غير متوالية و لاتامة، وقد كان جبريل أيضًا وجد منه مقالات ليست كلها المقالات التي وجدتُ بأعيانها وترجم له أيوب ما وَجَد، وأما أنا فلم تطب نفسي بترجمة شئ منها إلا باستكمال قراءتها لما هي عليه من النقصان والاختلال وللطمع وتشوُّق النفس إلي وجود تمام هذا الكتاب ..."

(حنين بن اسحق: "رسالة في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس "، ص ١٧٦).

دقيقة دقة ملحوظة ـ مقارنة بترجمات تلك الأعمال ذاتها فى الحضارة الغربية ـ إلى اللغة العبرية أو إلى اللغة اللاتينية[١] ـ والتى جاءت موثقة كذلك توثيقا دقيقا يعلو على الشك ـ

(١) وفى ذلك يقول "إدوارد براون"ـ مؤرخ الطب العربى ـ أن "لوسيان لوكليرك له الحق فيما يذهب إليه من أن الترجمة العربية عن اليونانية كانت أوضح وأدق من التراجم اللاتينية المأخوذة من العربية. والذي يحكم على الطب العربي في هذه التراجم اللاتينية لا يقدّره حق قدره بل لعله يتجنّى في الحكم عليه. ويقول لوكليرك أيضا : إن هناك مقاطع في الترجمة اللاتينية لكتاب القانون لابن سينا لم يفهمها المترجم ؛ ومن ثَمَّ لا تنقل إلى القارئ فكرة واضحة عن الموضوع. ويصدق هذا على المترجمين السُريان السابقين على زمن الحضارة الإسلامية، والذين كانوا يكتفون فى المقاطع الصعبة بترجمة كلمة يونانية بمفردها دون الالتفات إلى صياغة المعني العام فى الجملة ؛ ولذلك نجد فى هذه التراجم جملا عديدة كلها أخطاء ، وتعابير ليس لها معنى. وباختصار كان المترجم السُرياني يضع الكلمة اليونانية حين يخفق في إيجاد ترجمة لها أو فهمها، ويترك للقارئ أن يخمّن ما يشاء من إيجاد معنى الكلمات العربية التي صاغها" . ويبين ماكس مايرهوف أن الترجمات السُريانية التي تمت أولاً للأعمال اليونانية كانت رديئة جدًا، وهو ما لاحظه حنين بن إسحق، وذكره فى مواضع عديدة من رسالته إلى على بن يحيى . وهذا ما أكده بونيون M. Pognon فى نشرته للترجمة السريانية لفصول أبقراط : Une version Syriaque des Aphorismes d' Hippocrates, Leipzig 1903, حيث يقول : "إن المترجمين السُريان عندما كانوا يجدون فقرة صعبة غالبًا ما كانوا يكتفون بإيراد كلمة سريانية أمام كل كلمة يونانية دون أى محاولة لإثبات عبارة مفهومة ؛ وهكذا نجد فى ترجماتهم كثيرًا من العبارات الخاطئة، إلى حد أننا نجد تعبيرات لا معني لها على الإطلاق" . (Max Meyerhof, "New light on Hunain Ibn Ishaq and his period", Isis, V. 8, p. 711. Cambridge, Mass. Brussels, 1926). ومن الناحية الأخرى نجد أن الفكر العربى واضح ذو أسلوب إيجابى، واللغة العربية كاملة التكوين، غنية بأصولها وبإمكانياتها . . وإلى جانب وفرة الأسماء العربية فى علم التشريح والباثولوجيا والطب بصورة عامة نجد أن الاشتقاق والصياغة من أصل موجود ممكن وسهل الفهم ، فجاءت الاشتقاقات التى على وزن فعَال مشيرة إلى الوجع أو المرض، مثل : صُداع ـ زُكام ـ جُذام ـ دُوار ـ بُخار ـ خُمار . واستعملت اشتقاقات أخرى للدلالة على الحالات المرضية، مثل : استسقاء؛ وبذلك أمكن صياغة التعابير والأسماء الفنية. (براون، ١. "الطب العربى"، ترجمة داود سليمان على، ص ٣٢-٣٧، بغداد ١٩٦٤) . وما يصدق على الطب يصدق على بقية العلوم فى الحضارة الإسلامية. وقد سَجّل اللغويون العرب ومصنفو المعاجم المتخصصة الجهود التى بذلت للتحديد الدقيق لدلالات الألفاظ. وكانت الترجمة العربية – كما يقول حنين بن إسحق – "تأتى بحسب قوة المترجم للكتاب والذي ترجم له" . وفضل حنين بن إسحق أنه صوّب الطريقة التي اعتادها المترجمون السُريان ؛ فدرس اللغة اليونانية دراسة متعمقة، وبحث عن المخطوطات الصحيحة للكتب اليونانية، واجتهد فى النفاذ إلى معنى النص وروحه قبل الإقدام على الترجمة (Meyerhof, p. 711). وفى رسالة "حنين"إلى "على بن يحيى"يذكر ما سبق أن ترجمه غيره من الكتب، ثم عاد هو فترجمه أو أصلحه. فيقول عن ترجمته لكتاب "فرَق الطب للمتعلمين"لجالينوس : "وقد كان ترجمه قبلي إلى السريانية رجل يُقال له "ابن سهدا"من أهل الكرخ، وكان ضَعيفا في الترجمة، ثم إنى ترجمته وأنا حدث من أبناء عشرين سنة أو أكثر قليلا لمتطبب من أهل جند يسابور يقال له شيريشوع بن قطرب من نسخة يونانية كثيرة الأسقاط، ثم سألنى بعد ذلك وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها حبيش تلميذى إصلاحه بعد أن كانت قد

اجتمعت له عندى عدة نسخ يونانية، فقابلت تلك ببعضها حتي صحَّحت منها نسخة واحدة، ثم قابلتُ بتلك النسخة السريانى وصححته، وذلك من عادتي أن أفعل في جميع ما أترجمه، ثم ترجمته من بعد سُنيات إلى العربية لأبى جعفر محمد بن موسى ("رسالة حنين بن إسحق إلى على بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم ، ص ١٤٩-١٥١) .

وكان العمل الواحد يحظى أحيانا بترجمات متابعة توخيا لأقصي قدر ممكن من الدقة والإيضاح، من ذلك ما يذكره حنين عن كتاب "الصناعة الطبية"لجالينوس من أنه كان قد ترجم هذه المقالة عدَّة، منهم : سرجس الرأس عيني قبل أن يقوى في الترجمة، ومنهم ابن سهدا، ومنهم أيوب الرهاوي ، وترجمته أنا بعد لداود المتطيب. وكان داود هذا رجلا حسن الفهم حريصًا على التعلم وكنت في الوقت الذي ترجمته شابا من أبناء الثلاثين سنة أو نحوها . وكانت قد التأمت لى عدة صالحة من العلم في نفسي وفيما ملكته من الكتب. ثم ترجمته إلى العربية "لأبى جعفر محمد بن موسى" . (المصدر السابق ، ص١٥٣) . وعن ترجمة كتاب جالينوس "في الأسطقسات على رأي بقراط"يقول حنين : "وكان قد سبقني إلى ترجمته سرجيس إلا أنه لم يفهمه فأفسده، ثم إني ترجمته إلى السريانية لبختيشوع بن جبريل بعناية واستقصاء ، وكانت ترجمتي له وجل ما ترجمته لهذا الرجل فى وقت منتهي شبابي على تلك السبيل، ثم ترجمته إلى العربية لأبى الحسن علي بن يحيى" . (المصدر السابق، ص ١٥٤) ، وعن ترجمة كتاب جالينوس "في القوى الطبيعية يقول حنين : "وقد ترجم هذا الكتاب إلى السُّريانية سرجس ترجمة سوء، ثم ترجمته أنا إلى السريانية وأنا غلام قد أتت علىَّ سبع عشرة سنة أو نحوها لجبريل بن بختيشوع ، ولم أكن ترجمت قبله إلا كتابا واحدًا، وترجمته من نسخة يونانية فيها أسقاط، ثم إني تصفحته إذ أحسنت فوقفت منه علي أسقاط أخر فأصلحتها، وأحببت إعلامك ذلك لكيما إن وجدت لهذا الكتاب من ترجمتي نسخا مختلفة عرفت السبب في ذلك " . (المصدر السابق، ص ١٥٤) . ويقول حنين عن ترجمة كتاب جالينوس "فى الحيلة لحفظ الصحة"De Tuenda Sanitate : وقد كان ترجم هذا الكتاب إلى السُّريانية "ثيوفيل الرهاوي"ترجمة خبيثة رديئة، ثم ترجمته أنا لبختيشوع بن جبريل فلم يتهيأ لى في وقت ما ترجمته إلا نسخة واحدة، ثم وجدت بعدُ نسخة أخرى يونانية فقابلت به، وصححته من اليونانية، ثم ترجمه حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى، وترجمه من بعدُ اسحق لعلى بن يحيى (ص١٧٠-١٧١) .

ويقول حنين عن ترجمة كتاب جالينوس"فيما يعتقده رأيا" . وقد ترجمه أيوب إلى السُّريانية وترجمته إلى السُريانية لإسحق ابني، وترجمه إلى العربية ثابت بن قُرَة لمحمد بن موسى وترجمه عيسى بن يحيى إلى العربية، وقابل به أسحق الأصل وأصلحته لعبد الله بن إسحق" . المصدر السابق، ص ١٧٥) .

عديدة إذنٍ هى الأمثلة التي تبيّن بوضوح توخىّ أقصى قدر ممكن من الدقة تمثَّل في إعادة الترجمة للنص الواحد وترجمته أحيانا مرات، ومن أكثر من لغة عاش فيها النص، مع الحرص البالغ على مراعاة ما ينبغي أن يكون عليه النقل الصحيح للأفكار .

وتتكرر أمثلة ذلك في وصف حنين للكثير من ترجمات كتب جالينوس. ومن الثابت في تاريخ الترجمة أن كتاب "المبادئ"لإقليدس ترجمه الحجَّاج بن يوسف بن مطر، وعُرفت ترجمته بالنقل الهاروني [نسبة إلى هارون الرشيد]، ثم إنه هو نفسه أعاد ترجمته ثانية فيما سُمى بالنقل المأمونى [نسبة إلى المأمون]. وفي أوائل القرن العاشر الميلادي راجع هذه الترجمة قسطا بن لوقا، وراجعها بعد ذلك حنين بن إسحق ثم ثابت بن قرَّة، فأصبحت الترجمة لدقتها معينة بالفعل في توضيح غوامض النص اليونانى. كما أن كتاب "المجسطي "لبطليموس كانت قد ظهرت له ترجمة لمترجم مجهول بتكليف من يحيى بن خالد البرمكي، ثم ترجمه الحجَّاج بن يوسف بن مطر سنة ٨٢٩/٨٣٠م على أساس ترجمة

كانت المناسبة الطيبة للفيلولوجيين ولمؤرخى العلوم على السواء لتصحيح وتتميم صورتنا الحالية عن الفكر اليونانى من ناحية، ولبيان دور هذا الفكر فى تشكيل الفكر العربى بعد ذلك من ناحية أخرى. وجدير بالذكر أنه قد ارتبط بظاهرة الترجمة هذه ـ تلك التي تفردَّت بأساليبها المبتكرة ـ إلى جانب التأريخ للعلوم ترسيخ علم توثيق النص وعلم نقد النص؛ دفعًا لعوامل الانتحال والتشويه الثقافي التي عرفها العلم فى تطوره[1].

سريانية قام بها سرجيس الرأس عيني (النصف الأول من القرن السادس الميلادي) ، وقام بمراجعة هذه الترجمة فى النصف الثاني من القرن العاشر الميلادى أبو الوفا البوزجاني ثم نصير الدين الطوسى من بعد فى القرن الثالث عشر الميلادى. وكان حنين بن إسحق قد قام بترجمته للمرة الثالثة فى منتصف القرن التاسع الميلادي، وأصلح هذه الترجمة من بعد ثابت بن قرة.

ومن الشواهد البالغة الدلالة على هذا الشأن ترجمة بعض الكتب المنطقية لأرسطو أربع مرات على التوالي. ففى نسخة مخطوطة يملكها الحسن بن سُوار أثبت التباين فى هذه الترجمات ، وفى ذلك يقول في نهاية كتاب "أرسطوطاليس"المسمى "سوفسطيقا": في التبصير بمغالطة السوفسطائية : "فلأنا أحببنا الوقوف على ما وقع لكل واحد منهم كتبنا جميع النقول التي وقعت إلينا ليقع التأمل لكل واحد منها ، ويستعان ببعضها على بعض فى إدراك المعني". وهذا يدل ـ فيما يرى عبد الرحمن بدوي ـ علي أن العرب فى ذلك العهد (النصف الثاني من القرن الرابع) قد كانوا تجاوزوا مرحلة العمل السريع وترجمة كل ما يمكن ترجمته، تلك المرحلة التي تقع في عهد المأمون والمتوكل، إلى مرحلة التدقيق والترف حيث لم يعودوا يثقون بتلك الترجمات السريعة التى نشأت تحت حمية الرواد الأوائل للتراث اليوناني. (عبد الرحمن بدوي ـ منطق أرسطو جـ١ ص ٧ – ٨).

وعلى حين بلغت العناية بالترجمة هذه الغاية الرفيعة ظل وضع الترجمات اللاتينية للأعمال العربية سيئًا، حتى أننا نجد "روجر بيكون"يسخر بشدة من المترجمين الذين لم يكونوا يعرفون العلوم ولا لغات النصوص العلمية، بل ولا يعرفون حتى اللغة اللاتينية معرفة جيدة. وجاءت شهادته هذه بعد قرن كامل على اكتمال قدر ملحوظ من الأعمال المترجمة عن العربية.

(١) عرفت الحضارة الإسلامية علمًا هامًا هو علم نشر الكتب ونقد النصوص، وهو العلم الذى استمد الكثير من أصوله من جهود علماء الحديث فى نقد متن الحديث وسنده، وتجريح رجاله وتعديلهم. وبلغ نقد النص وتوثيقه شأوًا بعيدًا فى مدرسة حنين بن إسحق. ونحن نجده وهو يسرد ضمن مصنفات جالينوس كتابا فى "تشريح آلات الصوت"يقول: "إن هذا الكتاب مفتعل على لسان جالينوس، وليس هو لجالينوس، ولا غيره من القدماء، ولكنه لبعض الحدث، جمعه من كتب جالينوس، وكان الجامع له مع هذا أيضاً ضعيفاً". وعن كتاب "تشريح العين"يذكر ابن أبي أصيبعة قول حنين ابن إسحق : "إن عنوانه باطل لأنه يُنسب إلى جالينوس وليس هو لجالينوس ، وخليق أن يكون لروفس أو لمن هو دونه". وعن اختصار الكتاب المعروف بـ"النبض الكبير"، وهو مقالة واحدة ذكر جالينوس أنه كمَّل فيها النبض، يقول حنين : "وأما أنا فقد رأيت باليونانية مقالة يُنحى بها هذا النحو، ولست أصدق أن جالينوس الواضع لتلك المقالة ؛ لأنها لا تحيط بكل ما يُحتاج إليه من أمر النبض، وليست بحسنة التأليف أيضاً . وقد يجوز أن يكون جالينوس قد وعد أن يضع تلك المقالة فلم يتهيأ له وضعها، فلما وجده بعض الكذابين قد وعد ولم يف تخرَّص وضع تلك المقالة =

ومن المعلوم أن الكثرة الغالبة من الترجمات العربية التي تَمَّ معظمها فى القرن التاسع الميلادي لمئات الأعمال اليونانية هي مؤسسة على مخطوطات سريانية أو علي مخطوطات يونانية ترجع على أقل تقدير إلى ستة أو سبعة قرون قبل زمان جمعها . وهذا ما يعطى هذه الترجمات العربية قيمة جديرة بالاعتبار في إصلاح الترجمات اللاتينية أو العبرية اللاحقة لهذه النصوص، وفي استعادة جانب مفقود من التراث اليوناني.

نماذج من الأصول المفقودة :

ثمت نماذج عديدة نذكرها على سبيل المثال من بين مئات الأعمال اليونانية المترجمة إلى العربية، والتي قدّر لها البقاء في اللغة العربية بعد أن فُقد الكثير من أصولها اليونانية، ومنها :

وأثبت ذكرها فى الفهرست ؛ كيما يُصدَّق فيها . ويجوز أن يكون جالينوس قد وضع مقالة في غير تلك، وقد دُرست كما دُرس كثير من كتبه وأُفتعلت هذه المقالة عوضها ومكانها . ("حنين بن إسحق: فى ذكر ما تُرجم من كتب جالينوس. . . "ص ١٦٧) . كما تنبه "حنين بن إسحق"إلى ما لحق كتاب "الأدوية التي يسهل وجودها "لجالينوس من تحريف على أيدي المترجمين السُّريان، وعلى أيدي المفسرين من بعد، ويعبّر عن معاناة الباحث فى هذا الكتاب فى غَيبة النص الأصلى له، فيقول : "ولم أجد لهذا الكتاب نسخة باليونانية أصلاً ولا بلغنى أنه عند أحد، على أنى قد كنتُ فى طلبه بعناية شديدة وقد ترجمه سرجس، إلا أن الحاصل فى أيدى السُّريانيين فى هذا الوقتً فاسدٌ ردئ، وقد أضيف إليه مقالة أخرى فى هذا الفن نسبت إلى جالينوس وما هى لجالينوس لكنها لفلغريوس. . وقد رأيت هذه المقالة بل ترجمتها مع مقالات لفلغريوس ولبختيشوع إلى السريانية ، ولم يقتصر المفسّرون للكتب على هذا، حتى أدخلوا فى هذا الكتاب هذيانا كثيرا، وصفات بديعة وعجيبة، وأدوية لم يرها جالينوس ولم يسمع بها قط، وقد وجدت أوريباسيوس ذكر أنه لم يجد لهذا الكتاب نسخة فى أيامه. وسألنى بعض أصدقائي أن أقرأ الكتاب السُّرياني وأصححه على حسب ما أرى أنه موافق على رأى جالينوس ففعلت "(رسالة ، ص ١٧٠) .

ومن بعد نجد ابن أبى أصيبعة عندما يشير إلى كتاب جالينوس "في تركيب الأدوية "الذي وضعه مؤلفه فى سبع عشرة مقالة يقول : "إن جملة هذا الكتاب الذى رسمه جالينوس فى تركيب الأدوية لا يوجد فى هذا الوقت إلا وهو منقسم إلى كتابين وكل واحد منهما على حدته ؛ ولا يبعد أنِ يكون الإسكندرانيون لتبصرهم فى كتب جالينوس جدا صنعوا هذا، أو غيرهم. فالأول يعرف بكتاب قاطاجانس ويتضمن السبع المقالات الأولى. والآخر يعرف بكتاب الميامر ويحتوي علي العشر المقالات الباقية "(عيون الأنباء في طبقات الأطباء "، ص ١٤٤) . ومن الواضح أن هذين العنوانين الموضوعين على جالينوس لا نجدهما بالطبع ضمن ثبت أعماله.

وإنه ليزداد تقديرنا لروح الدقة هذه إذا ما قورنت أعمال المترجمين في الحضارة الإسلامية بما كان عليه وضع الترجمات اللاتينية للنصوص العربية المنقولة عن اليونانية أو المكتوبة بالعربية أصلا، وكيف اختلطت فيها النصوص الأصلية مع شروحها دون تمييز، فظهرت على أنها من عمل شخص واحد، هذا إلى جانب جرأة المترجمين الأوربيين أحيانًا في نسبة أعمال عربية إلى أنفسهم فتخلط – على ذلك – المؤلفات، بالترجمات، وموقف قسطنطين الإفريقي مثال واضح على ذلك.

أولاَ : أعمال لجالينوس (ازدهر فى روما في منتصف القرن الثاني الميلادي) :

١ – مؤلفه الأساسي في التشريح Peri anatomikon egkheireseon المكوَن من خمسة عشر كتابا ، والذي لا يوجد منه حاليًا في اليونانية إلا الكتب من الأول إلى الثامن وبداية الكتاب الحادي عشر، على حين أن الترجمة العربية قد حفظت لنا النص كاملاً. وفى رسالة حنين بن إسحق إلى علي بن يحيى يذكر أنه "قد كان ترجم هذا الكتاب إلى السُّريانى أيوب الرهاوي لجبريل بن بختيشوع، وأصلحتُه منذ قريب ليوحنا بن ماسويه، وبالغت في العناية بتصحيحه"[١] . وبالقياس إلى الترجمات اللاتينية له عن اليونانية التى يصعب قبولها مثل ترجمات Burgundio of Pisa (d. 1193)، و Nicolos of Reguim (1280-1350)، و Peter of Abano قبل سنة ١٣٠٣م ، تظهر قيمة النص العربى في تصويب الترجمة اللاتينية، وفى استعادة النص اليونانى[٢] .

وعندما نشر "ماكس سيمون"Max Simon النصوص العربية للكتب من التاسع إلى الخامس عشر سنة ١٩٠٦ مع ترجمة ألمانية أصبح في متناول الباحثين هذا العمل بأكمله مرة ثانية ، كما ظهرت ترجمة إنجليزية لهذه الكتب السبعة الأخيرة سنة ١٩٦٢م[٣] .

٢ – ولم يكن معروفًا للباحثين الغربيين حتى وقت قريب أن لجالينوس رسالة تشريحية "عن اختلاف الأعضاء المتشابهة الأجزاء"Perites ton homoiomeron somaton، وهي تلك التي ترجمها حنين بن إسحق من اليونانية إلى السُّريانية وترجمها تلميذه عيسى بن يحيى إلى العربية[٤] .

٣ – وكتاب "في التجربة الطبية"لجالينوس Peri tes iatrikes empeirias بقيت منه في اليونانية شذرتان صغيرتان ترجمهما إلى اللاتينية Gadaldini of modena فى القرن السادس عشر. وهذا الكتاب الهام الذي يقول عنه حنين بن إسحق: إن جالينوس يقص

---

(١) حنين بن اسحق :"فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس"، ص ١٥٩.

(٢) Manfred Ullmann, "Islamic Medicine"P.31, Edinburgh University Press

(٣) "Galen on Anatomical Procedures, the latter books", a translation by W.L.H. Duckworth, ed. M. C. Lyons and B. towers Cambridge, 1962.

(٤) حنين بن إسحق :"فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس"، ص ١٦١.

فيه حجج أصحاب التجارب وأصحاب القياس بعضهم على بعض"[١]، ظلَّ محفوظًا فى نصه الكامل باللغة العربية فحسب ، إلى أن نُشرت الترجمة العربية مع ترجمة إنجليزية لها سنة ١٩٤٤ على يد ريتشارد فالتزر Richard Walzer.

٤ – وهناك كتاب لجالينوس تُرجم إلى العربية بعنوان "فى محنة أفضل الأطباء" أو "في أن الطبيب الفاضل فيلسوف" Quod optimus Medicus set quoque philosophus لايعرف نصّه اليونانى. ومع أن جالينوس لم يذكر هذا الكتاب ضمن فهرست مؤلفاته إلا أنه كتاب صحيح لا يُشك في نسبته إليه. وهذا الكتاب يندرج فيما يُعرف حاليًا بالأخلاق الطبية Medical Ethics، وهو يلقي ضوءًا هامًا على السيرة الذاتية لجالينوس. ولايزال الكتاب مخطوطًا لم يطبع بعد، وتوجد منه نسختان : إحداهما فى مكتبة بلدية الإسكندرية ، والثانية في بورصه Bursa بتركيا .

٥ – "تفسير جالينوس لكتاب أبقراط عن الهواء والماء والمساكن"لا يوجد منه باليونانية حاليا غير أربع فقرات اقتبسها أوريباسيوس. وهذا الكتاب موجود في ترجمة حنين بن إسحق إلى السّريانية التى ترجمها لسلمويه بن يونان، وفي ترجمة حبيش إلى العربية لمحمد بن موسى.

وفى سنة ١٢٩٩م ترجم سالمون بن ناثان Salmon ben Nathan النص العربي إلى العبرية ترجمة ناقصة، ولا يزال المخطوط العبرى محفوظًا بأكسفورد، ثم ترجمت هذه الترجمة العبرية ذاتها إلى اللاتينية على يد موسى ألاتينو Moses Alatino، ولم يكن أمام الباحثين إلا الرجوع إلى هذه الترجمة اللاتينية المختصرة المليئة بالأخطاء، كما أن النص السرياني أيضًا مفقود كذلك، والترجمة العربية بتمامها لهذا النص لا تزال مخطوطة، وهي ضمن مجموعة "طلعت"بدار الكتب المصرية. وقد اقتبس منها الرازي وابن سينا وابن رضوان وابن ميمون وآخرون.

٦ – كتاب جالينوس "في حيلة البرء"Methodi Medendi فى أربع عشرة مقالة ، وهو مفقود فى أصله اليوناني. ويذكر حنين بن إسحق فى رسالته أنه قد كان ترجم هذا

---

(١) قول حنين في رسالته إلى علي بن يحيي :"ووجدت له كتبا أُخر لم يذكرها (أى جالينوس) فى الفهرست، وأنا ذاكرها : كتابه في محنة أفضل الأطباء، هذا الكتاب مقالة واحدة، وقد ترجمته الى العربية لمحمد بن موسى، ص١٧٥ .

الكتاب إلى السُّريانية سرجس فكانت ترجمته الست المقالات الأُوَل . وقد كان سلمويه إذ أرني على أن أصلح له هذا الجزء الثاني، وطمع أن يكون ذلك أسهل من الترجمة وأجود ، فقابلني ببعض المقالة السابعة ومعه السرياني ومعي اليوناني وهو يقرأ علىَّ السُّريانية ، وكنت كلما مرّ بى شئ مخالف لليوناني خَبَّرته به، فجعل يُصلح حتي كَبُر عليه الأمر، وتبيَّن له أن الترجمة من الرأس أرخى وأبلغ، وأن الأمر يكون فيها أشد انتظامًا . فسألني ترجمة تلك المقالات فترجمتها عن آخرها . . . ثمّ إنى بعد سنين ترجمت الكتاب من أوله لبختيشوع بن جبريل، وكان عندي للثماني المقالات الأخيرة منه عدّة نسخ باليونانية، فقابلت بها، وصحَّحت منها نسخة، وترجمتها بغاية ما أمكنني من الاستقصاء والبلاغة، فأما الست المقالات الأُوَل فلم أكن وقعتُ لها إلا على نسخة واحدة، وكانت مع ذلك نسخة كثيرة الخطأ ؛ فلمْ يمكننى لذلك تخلّص تلك المقالات على غاية ما ينبغى. ثم إنى وقعتُ على نسخة أخرى، فقابلت بها، وأصلحت ما أمكنني إصلاحه، ولا يخلو الأمر إلى أنى أقابل به ثالثة إن اتفقت لى نسخة ثالثة ، فإن نُسخ هذا الكتاب باليونانية قليلة ؛ وذلك أنه لم يكن مما يُقرأ في كُتَّاب الإسكندرية. وترجم هذا الكتاب من النسخ السُّريانية التى ترجمتها حبيش بن الحسن لمحمد بن موسى، ثم إنه سألني بعد ترجمته لها أن أتصفح له المقالات الثماني الأخيرة، وأصلح ما وجدت من الأسقاط، فأجبته إلى ذلك، وأجدتُ فيه "[١] .

وقد قام ابن رشد بتلخيص هذا الكتاب[٢] .

٧ – كتاب جالينوس "فى أراء بقراط وفلاطن "(فى عشر مقالات) De Placititis Hippocratis et Platonis وهو مفقود في اليونانية، يقول عنه "حنين بن إسحق": "وكان ترجم هذا الكتاب إلى السريانية أيوب ، ولم يترجمه إلى هذه الغاية أحد غيره، وكانت له عندي عدّة نسخ يونانية شغلت عنها بغيرها، ثم ترجمته من بعد إلى السُّريانية، وأضفت إليه مقالة عملتها فى الاعتذار لجالينوس فيما قاله فى المقالة السابعة من هذا الكتاب. وترجمه إلى العربية حبيش لمحمد بن موسى"[٣] .

---

(١) رسالة، ص١٥٨–١٥٩ .

(٢) رسائل ابن رشد الطبية، بتحقيق: جورج شحاته قنواتي وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ .

(٣) رسالة. . . ، ص١٦٣ .

٨ – كتاب جالينوس "في علل التنفس"De Causis Respirationis مفقود فى اليونانية. وهذا الكتاب ترجمه إلى العربية اصطفن لمحمد بن موسى، وأصلحه حنين بن إسحق[١].

٩ – كتاب جالينوس "فى الأسماء الطبية"De Nominibus Medicinalibus (فى خمس مقالات). نصّه اليوناني مفقود حاليا، وعنه يقول "حنين بن إسحق": "ونسخته باليونانية فى كتبى، إلا أني لم أكن ترجمتُه ولا غيرى، ثم ترجمتُ منه من بعد إلى السُّريانية ثلاث مقالات، وترجم حبيش منها المقالة الأولى إلى العربية "[٢].

١٠– كتاب جالينوس "فى أجزاء الطب" De Partibus Artis Medicae (مقالة واحدة). ونصه اليوناني مفقود. و (قد ترجم من هذا الكتاب حنين قبل وفاته بنحو شهرين زيادة على النصف، وأتمه إسحق ابنه إلى العربية)[٣].

١١– كتاب جالينوس "فى تولد الجنين المولود لسبعة أشهر"De septimestripartu (مقالة واحدة). وهو نص يونانى مفقود حفظته ترجمة "حنين بن إسحق" من بعد إلى السُّريانية والعربية [٤].

١٢– كتاب جالينوس "فى تدبير الأمراض الحادة على رأي بقراط " De victus Ratione in Morbis acutis ex Hippocratis (مقالة واحدة). وهذا النص اليوناني مفقود. وعنه يقول "حنين بن إسحق": "وترجمته أنا إلى السُّريانية لبختيشوع، وترجمته بعد ذلك إلى العربية لمحمد بن موسى "[٥].

ثانيا : نصوص طبية مفقودة لجالينوس وبقيت اقتباسات حرفية منها محفوظة في العربية :

١ – "تفسيره لكتاب عهد بقراط": In Hippocratis Jusjurandum Commentarius (مقالة واحدة). أصله اليونانى مفقود ، وترجمه حنين بن إسحق إلى السُّريانية، وأضاف إليه شرحًا للمواضع المستصعبة منه، وقد ترجمه حبيش إلى العربية لأبى الحسن أحمد بن موسى وترجمه أيضًا عيسى بن يحيى[٦].

---

(١) سالة. . .، ص١٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٧.

(٥) رسالة. . .، ص ١٦٩.

(٦) المصدر السابق، ص ١٧١.

"وقد قام فرانتز روزنتال : "بتقديم تلك الشذرات مع ترجمة إنجليزية جيدة للتفسير. . ، ودافع جوتهارد شتروهمير عن صحة نسبة هذا التفسير إلى جالينوس[١] .

٢ – كتاب جالينوس "فى الصوت "De voce et Anhelitu ، وعن هذا الكتاب يقول حنين بن إسحق: و"ترجمتُه إلى العربية لمحمد بن عبد الملك الوزير. . وبالغت في تلخيصه بحسب ما كان عليه ذلك الرجل من حسن الفهم، وقد كان قرأه محمد فغيّر فيه كلاما كثيرًا بحسب ما كان يرى هو أنه أجود، ثم نظر فيه محمد بن موسى فى النسخة الأولى فاختار النسخة الأولى وانتسخها . وأحببتُ أنْ أبين ذلك لك لتعلم سبب الاختلاف بين النسختين إذا كانتا موجودتين"[٢] .

وقد لاحظ شتروهمير أن رسالة ابن سينا، وهى "أسباب حدوث الحروف"وخاصة الفصل الثالث منها عن تشريح الحنجرة واللسان : "منقولة عن كتاب جالينوس" في الصوت"[٣] .

ثالثا : أعمال طبيّة مفقودة لجالينوس بقيت متضمَّنة فى مؤلَّف عربى. ومن أمثلة ذلك:

– كتاب جالينوس "فى دلائل علل العين"(مقالة واحدة)، وذكر حنين بن إسحق"أن جالينوس كتبها فى حداثة سنّه لغلام كحّال، وقدَّ لخص فيها العلل التى تكون فى كل واحدة من طبقات العين، ووَصَف دلائلها . وترجم هذا الكتاب إلى السُّريانية سرجس، وكانت نسخته باليونانية عندى[٤] . هذا النص اليونانى المفقود حتى وقتنا هذا من المرجح – فيما يقول ماكس مايرهوف – أن تكون المقالة السادسة من كتاب حنين بن إسحق "العشر مقالات في العين"– وهى فى علاجات الأمراض التي فى العين"– قد حذا فيها حنين حذو جالينوس فى كتابه المفقود هذا[٥] .

---

(١) G.Strohmaier, "Galen of Pergamon in Arabic and the Editorial Program of the Corpus Medicorum Graecorum", P. 121-122. (نقلاً عن رسالة: إيمان محمد حامد ، ص ١٥٢–١٥٣) .

(٢) رسالة. . . ، ص ١٦٢ .

(٣) رسالة. . . ، ص ١٥٣ .

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٥ .

(٥) نشرة ماكس مايرهوف لكتاب "العشر مقالات في العين"، ص ٥٢–٥٣ .

"جوامع كتاب جالينوس في الأمراض الحادثة فى العين"الذى يقول عنه ماكس مايرهوف :

"هو مصنَّف صغير كان مجهولا فيما مضي لا يُعرف له مؤلف، وربما كان ملخصًا لكتاب جالينوس (في تشخيص أمراض العين) الذي فقد . وهو مجرد استعراض لواحد وتسعين مرضًا من أمراض العين ، مفعم بالاصطلاحات اليونانية ، ولابد أن يكون قد صُنف فى عهد متقدم، وتوجد منه نسختان خطيتان كاملتان في لنينغراد والقاهرة (تيمور باشا)[١] .

رابعًا : ومن أعمال جالينوس الفلسفية التى فقد أصلها اليونانى وحفظتها الترجمات العربية :

- "جوامع محاورة طيماوس"و "جوامع كتاب السياسة لأرسطو"وكتاب "الأخلاق"، الذى نشره "باول كراوس"فى مجلة جامعة فؤاد الأول (مجلد ٥ جـ١، القاهرة ١٩٣٩) .

وكذلك كتابه "فى أن الأخيار من الناس قد ينتفعون بأعدائهم"، وقد ترجمه "حبيش لمحمد بن موسى إلى العربية، وترجمه أيضًا عيسى إلى العربية[٢] .

أعمال لروفس :

هناك مؤلف يونانى آخر هو روُفس الإفسوسي Rufus of Ephesus (ازدهر فى القرن الثاني الميلادى) ترجم من اعماله إلى العربية فى القرن التاسع الميلادى ثمانية وخمسون كتابا لم يتبق منها في اللغة اليونانية مكتملا إلا أربعة فقط. ونحن نجد ايتيوس Aetius بعد ذلك يمزج فى أعماله بين كتابات روفس وكتابات جالينوس فى الموضوع الواحد دون تمييز للحدود الفاصلة بينهما . ويساعدنا الاقتباس الطويل الذي أورده "الرازى"فى الجزء الأول من كتابه "الحاوي"على التمييز بين آراء روفس وآراء جالينوس في موضوع فقدان الذاكرة ؛ ومعروف أن لروفس كتابا "عن فقدان الذاكرة"Peri mnemes apoloyias. وهناك نص عربى مخطوط بمكتبة البودليان بأكسفورد يحتوي على واحد وعشرين تقريرًا إكلينيكيا هى أمثلة وطرق خاصة في العلاج لروفس.

والاقتباسات الخمسة عشر التى أثبتها الرازي فى كتاب "الحاوي" هى بديل عن نص كتاب روفس المفقود عن "المالنخوليا" . وربما يكون كتاب "فى المالنخوليا" لإسحق بن عمران - طبيب زيادة الله بن الأغلب التميمى - مُهِمًّا فى هذا الشأن.

---

(١) مقدمة كتاب: العشر مقالات فى العين، ص ٨ .

(٢) حنين ابن إسحق، رسالة. . ، ص ١٧٧ .

كذلك احتفظ الرازي عدد من شذرات كتاب روفس "تدبير الصبيان" Peri Komides paidiu ، لكن ما هو أكثر دلالة وأشمل ما ضمّنه أحمد بن محمد البلدى (٩٩٠م) فى كتابه "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان، وحفظ صحتهم، ومداواة الأمراض العارضة لهم". ويبقى هناك ــ بعد استبعاد الشذرات المشكوك فيها ــ ثماني عشرة شذرة تكمل ما هو مأخوذ من كتاب روفس الذي اقتبسه أوريباسيوس asiusbOri. وعن طريق المقارنة بالنص العربى يمكن بيان التطابق الحرفى بين آراء روفس وبين ما اقتبسه أوريباسيوس فى كتابه المسمّى Libri incerti فى الفصول : الحادي والثلاثين، والثاني والأربعين، والثالث والأربعين ؛ وبذلك يمكن إعادة بناء كتاب روفس في مواضعه الأساسية.

وهناك نص آخر مفقود لروفس هو كتابه "عن النبيذ" لا نعرفه إلا من خلال ما حفظه لنا الرقيق النديم القيروانى فى كتابه "قطب السرور فى أوصاف الخمور".

أعمال للإسكندر الأفروديسى odisiasrexander of AphlA :

- "القول فى مبادئ الكل بحسب راى أرسطوطاليس".
- "هل المتحرك على عظم ما يتحرك فى أول حركته على أوّل جزء منه أم لا ؟"
- "مقالة فى الرد علي كسوقراطيس فى أن الصورة قبل الجنس وأول له أولية طبيعية".
- "مقاله فى أنه قد يمكن أن يلتذ الملتذ ويحزن معًا على رأى أرسطو".
- "مقالة فى أن القوة الواحدة يمكن أن تكون قابله للأضداد جميعًا على رأى أرسطوطاليس"، وهى شرح لقول ورد في "الكون والفساد" لأرسطو.
- "مقالة فى أن المكوّن إذا استحال من ضده أيضًا على رأى أرسطوطاليس"، وهى شرح لقول أرسطو فى "الكون والفساد": إن الشئ المكوّن يستحيل من عدمه، ويستحيل من ضده معًا.
- "مقالة فى الصورة وأنها تمام الحركة وكمالها على رأى أرسطو"، وفيها يشرح ما ذكره أرسطو فى "السماع الطبيعى" من أن الصورة هى تمام الحركة والصورة، ويلخص رأيه فى الحركة والصورة.
- "مقالة فى إثبات الصور الروحانية التى لا هيولى لها".

- "مقالة فى أن الفعل أعم من الحركة على رأى أرسطو"، وفيها يشرح ما قاله أرسطو فى "السماع الطبيعى"من أن الفعل أعم من الحركة ردًا على الذين تشككوا فى صحة هذا القول.

- "مقالة فى الفصول"التى بها يُقسم جنس من الأجناس.

وهذه المقالات العشر (التى نشرها عبد الرحمن بدوى ضمن كتابه "أرسطو عند العرب"سنة ١٩٤٧، عن مخطوطة وحيدة بالمكتبة الظاهرية بدمشق يرجع تاريخها إلى سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م) ضاع أصلها اليونانى، ولم يبق غير الترجمة العربية ثم اللاتينية أو العبرية المأخوذة عن العربية.

من أعمال بطليموس :

ومن بين الكتب اليونانية التى ترجمت لبطليموس **Ptolemy cladius** (من القرن الثانى الميلادى) كتاب "المناظر"الذى لا يوجد منه حاليا باليونانية إلا شذرات من الكتاب الخامس فقط، وبقى الكتاب كاملا فى ترجمته العربية التى نقلت بدورها إلى اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى.

من أعمال باپوس :

فُقد الأصل اليونانى لشرح عالم الرياضيات باپوس (فى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الميلاديين) على المقالة العاشرة من كتاب "المبادئ" لإقليدس، وبقى فى العربية بترجمة أبى عثمان بن سعيد يعقوب الدمشقى، وترجمة ثابت بن قُرة بن مَرْوان الحرانى (فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى) . ويصدق هذا على كثير من مؤلفات علماء اليونان الآخرين وخصوصًا العلماء من العصر الهيللنستى الذين كانت أعمالهم بشهادة ابن النديم هى أول نقل حدث فى الإسلام.

من أعمال برقلس Proclus (٤١٠ – ٤٨٥م) :

حجج برقلس فى قدم العالم، وهى التى ضمنها يحيى النحوي فى كتابه الذي ردَّ فيه على برقلس فى قدم العالم، (ماعدا الحجة الأولى) التى نقصت من كتاب "يحيى"، وكان يظن أنها مفقودة قبل اكتشاف الترجمة العربية لها . ونص يحيى النحوى هذا لم يصل إلينا إلا فى مخطوط وحيد باليونانية فُقد أوله، ومن ثمَّ فإن الترجمة العربية لحجج برقلس تساعد على

تحقيق ما بقى من النص اليونانى لكتاب يحيى النحوي وإكمال ما نقص منه خاصة وأنها ترجع إلى مخطوط أقدم من المخطوط اليونانى لكتاب يحيى النحوى.

ونذكر أيضًا من الأعمال اليونانية الهامة "جريدة تصانيف أرسطو"لبطليموس تشينوس Ptolemios Chennos التى أوردها ابن القفطى، وهى عمل مفقود فى اليونانية.

وقد نشر النص العربى وترجمه إلى الألمانية "جوستاف مولر"بليبزج سنة ١٨٧٥، ثم قام بضبط هذا النص المنقول عن العربية وشرحه : "شتينشنيدر"و "روزه"، ونشراه فى المجلد الخامس من الطبعة البرلينية لمؤلفات أرسطو.